مجلة "نتائج الفكر" الصادرة عن معهد الآداب واللغات
المركز الجامعي صالحي أحمد النعامة
العدد 05، 06. السنة 2020، ص 35–49
ISSN 2477-992x / EISSN 2773-2762

عنوان المقال: الاحتجاج بالشاهد اللغوي المولّد في التراث النحويّ

The Representation of the Linguistic Witness in the Arabic Grammatical Heritage

د. محمد الصالح بوضياف[1]

Boudiaf Mohammed Essalih

1 المركز الجامعي صالحي أحمد النعامة(الجزائر) الإيميل المهني: boudiaf@cuniv-naamadz

مُلخّص البحث

احتكم نحاتنا القدامى إلى عوامل تكفل سلامة اللغة، واحتجّوا بضوابط تُسْلِم من اللحن والغلط، ومعايير تحدّد صحّة التعبير والتركيب، فكان موضوع الشاهد اللغوي منوطا بهذا الاحتكام والاحتجاج، ليجعلوا منه الرؤية العلميّة الجديرة بالنظر عند تأصيل قضية نحوية أو قاعدة لغوية، والقاسم المشترك لمجموع تلك الضوابط والمعايير، وأحدَ أهمّ المسائل اللغوية التي يتدارسونها في مؤلّفاتهم النحوية واللغوية، إذ اشترطوا قبل تدوين قاعدة أو بسط مسألة أن يراعوا جملة من العوامل الزمانية والمكانية، وأن ينظروا فيمن يُؤخذ عنه ما إذا كان ممّن يحتجّ بكلامه في العربية أو لا، وقد أسلَمهم هذا الاحتكام إلى الإبقاء على اللّغة وحفظها، وجعلها سليمة باقية في الأعقاب.

ولئن علّق جمهور النحاة واللغويين تأصيل المسائل على الشاهد اللغوي في عمومه، فإنّ الأخذ بالشاهد الشعري المولّد لم يكن موقع إجماع بينهم، ومن هنا رأينا أن نزدلف في هذا الموضوع من عقيلة الشاهد الشعري المولّد في تراثنا النحويّ، وأن ننخل منها ما هو جدير بالملاحظة والبحث.

كلمات مفتاحية: الاحتجاج، الشاهد اللغوي، التراث النحوي، النحو، الشعر العربي.

Abstract:

This article investigates the Arabic linguistic witness to its grammatical heritage which is a method used by ancient grammarians in setting grammar and linguistic evidence. We, thereby, evoked the issue of the dependency on Arabic poetry, that was new at that time, as an attempt to figure out the way linguistic thinking takes place to present the argument and prove the grammatical rule . We divided this research into three points: inferring the linguistic witness, then, the object of protest. Highlighting the most important examples on the matter. Finally, acquainting the reader with a set of reached conclusions

Keywords: The protest , linguistic witness, Syntactic heritage, grammar, Arabic poetry.

محمد الصالح بوضياف الإيميل: boudiafmohammedessalih@gmail.com

مقدمة:

لقد استقرّ في فكر نحاتنا القدامى موضوع الأخذ بالشاهد اللغوي في تأصيل قواعد اللغة وأقيستها، فكان شرط الأخذ باللغة- أخذا عربيا صحيحا - مرهونا بكون صاحبه أو من رووا عنه هذا الاستعمال ممّن يحتجّ بكلامه في العربية، ومردّ ذلك أن يكون لدى العلماء ما يبرّر تلك الحجّةَ أو ذلك الشاهدَ من القرآن الكريم أو من الحديث النبوي- على تفصيل في المسألة-، أو أن يكون محكوما بمعيار فنّي زماني، كأن يُستقى من عيون الأدب الجاهلي شعرا ونثرا، أو من شعر العصر الإسلامي أو نثره حتّى آخرِ النّصفِ الأول من القرن الثاني في الحضر، وإلى القرن الرابع في البادية، مع اشتراط تحديد موطن الشاعر أو قبيلته، لأنّهم حدّدوا هذه المناطق وعرّفوا بها، واستثنوا من ذلك كثيرا من المناطق العربية، فلم يحتجوا بكلام أهلها في اللغة، وقد بقي جمهور اللغويين والنحاةِ ملتزما بها، وعدّوا كلّ ما لم تنطبق عليه المعايير المذكورة مولّدا، غير صحيح الأرومة، ولا يحتج به في العربية.

توزّعت مضامين هذا البحث على مبحثين رئيسين، تحدّثنا أوّلا عن الشاهد المولّد في الاستعمال اللغوي والاصطلاح النحوي، وتطرّقنا ثانيا إلى شعر المولّدين في التراث اللغوي، وجعلناه في ثلاث نقاط هي: المولّد في التراث النحوي، وشعر المولّدين في التأليف اللغوي والأدبي، والشعر المولّد في التأليف النحوي، أمّا عن الإشكالية التي نروم الإجابة عليها فنوجزها في هذا التساؤل: ما المدعاة إلى الاحتجاج بالشاهد الشعري اللغوي المولّد لدى نحاتنا القدامى؟ وما موقعه في الدراسات اللغوية اللاحقة فيما بعد؟

01) الشاهد المولّد في الاستعمال اللغوي والاصطلاح النحوي:

جاءت مادّة [ولد] في اللّسان دالّة على معاني الولادة المعروفة من وضع الحامل ما في بطنها، وقالوا تولّد الشيء من الشيء، ومن هذا المصدر استعملوا اسم المفعول فقالوا: أمَة مولّدة بمعنى: تولد بين العرب وتنشأ مع أولادهم، ويعطونها غذاء أولادهم ويعلمونها ما يعلمونه لأولادهم، ومنه المولّد من العبيد أيضا، ليتّضح أنّ هذه الأمَةَ المولّدة أو العبد المولّدَ ليس عربيَ الأصل، ولذا

قالوا: "رجل مولّد إذا كان عربيا غير محض"[1]، وعمّموا استعمال هذا اللفظِ فجعلوا المولد هو المفتعلَ والمحدث من كلّ شيء، فكتاب مولّد مفتعل[2]، ثمّ راحوا إلى اللغة فأطلقوا على الكلام الجديد لفظ المستحدث، فسمّي المولّد من الكلام مولّدا إذا استحدثوه ولم يكن من كلامهم فيما مضى، والمقطوع به أنهم كانوا يعنون بوصف أولئك الشعراء بأنهم مولّدون نفيُ عروبتهم أو انتقاصُها، وليس في معاجمنا العربية ما يغنينا بحثا وتقصيا عن لفظ المولّد، فليس معنا على وجه التحديد تاريخ اللفظة واستعمالاتها في مصادرنا المعجمية. على أنّ في كتاب المزهر للسيوطي(ت911هـ) محاولات جادّة في تحديد اللفظ، كما أنّ في كتاب شفاء الغليل للخفاجي (ت 1069هـ) جهودا في تحديد المولّدات وتبيان خصائصها.

أما المولّد من اللغة فهو ما ابتكر من الألفاظ العربية بعد عصر الاحتجاج إما بلفظه، صيغةً ومعنىً، وإمّا بصيغته فقط أو بمعناه، أو كان عبارة أو استعمالا.

أما في الشعر فقد أُطلق اسم "المولَّدين" على شعراء بني أميّة، وكان أبو عمرو بن العلاء(ت154هـ) ينعت جريرا والفرزدق بالمولّدين، فكان لا يعدّ الشعر إلاّ ما كان للمتقدّمين وقال: "لقد أحسن هذا المولَّد حتى هممتُ أن آمر صبياننا بروايته"[3]، وروى عنه الأصمعي(ت216هـ) أنّه جلس إليه ثماني حجج فلم يسمعه يحتجّ ببيت إسلامي، وأنّه سُئل عن المولّدين فقال: "ما كان من حسن فقد سُبقوا إليه، وما كان من قبيح فهو من عندهم، ليس النّمط واحدا، ترى قطعة ديباج وقطعة مسيح"[4]، وهنا نرى كيف يستنقص أبو عمرو بن العلاء قيمة من هؤلاء الشعراء وشعرهم إذ لا يعدو أن يكون تعليما ورواية للصبيان، ليس إلاّ، فشعر جرير(ت110هـ) وأضرابه ممّن عاصروه مولّد بالإضافة إلى شعر ما قبل الإسلام وشعر المخضرمين[5]، وأدخل الأصمعي في المولّدين شعراء متقدّمين أمثال فضالة بن شريك الأسديّ(ت64هـ) وابن قيس الرّقيّات(ت75هـ)، وعمر بن أبي ربيعة(ت93هـ)، فقال:"هؤلاء موَلَّدون وشعرهم حجّة"[6]، ويطلق شعر المولّين على شعراء بني العباس، قال ابن الأثير الحلبيّ(ت737هـ):"وسُمّي الشاعر منهم مولّدا

لأنه كان عربيا غير محض، فكان شعرهم غير شعر العرب العاربة، ولا يستشهد بأشعارهم في اللغة، وخالطوا العجم، فصاروا مولّدين بهذا الاعتبار مثل بشّار بن برد، وأبي نواس ومسلم بن الوليد صريع الغواني وسلم الخاسر[7]... وهم الذين حدّثوا عن المولّدين كأبي تمام والبحتري ومروان بن أبي حفصة وعليّ بن الجهم وعليّ بن العبّاس الرّومي، وما يجري مجراهم"[8]، وكان يستشهد بهم في المعاني، روى ابن رشيق (ت463هـ)كلاما عن ابنّ جنّي(ت392هـ) أنّه قال:"المولّدون يستشهد بهم في المعاني، كما يستشهد بالقدماء في الألفاظ"[9]، لما في شعرهم من معان جديدة، وقد أثنى عليهم القدماء، ومن هؤلاء ابن طباطبا(ت322هـ) إذ يقول:"وستعثر في أشعار المولّدين بعجائب استفادوها ممّن تقدّمهم، ولطفوا في تناول أصولها منهم، ولبّسوها على من بعدهم، وتكثّروا بإبداعها فسلِمت لهم عند ادّعائها للطيف سحرهم فيها وزخرفتهم لمعانيها"[10]، وقال ابن وكيع(ت393هـ):"إنّما تروى لعذوبة ألفاظها ورقّتها وحلاوة معانيها وقرب مأخذها، ولو سلك المتأخرون مسلك المتقدّمين في غلبة الغريب على أشعارهم ووصف المهامه والقفار... ما رُويت لأنّ المتقدّمين أولى بهذه المعاني"[11]، أوليس هذا هو عمود الشعر المطلوب، ولئن اقتصر النقاد القدامى على استحسان معاني الشعر لدى هؤلاء المولّدين فإنّ ابن وكيع يزيد عليهم باستحسان ألفاظهم، حتى لا تكاد تميّز بينهم وبين بقية الشعراء، مع اشتراط بعض الخصائص في التوليد المقبول إذ ليس معنى التوليد والرّقة أن يكون الكلام رقيقا سفسافا، ولا بادرا غثّا، كما ليست الجزالة والفصاحة أن يكون حوشيا خشنا ولا أعرابيا جافيا، وكل حال بين حالين"[12].

لقد عرّف علماؤنا الشاهد بأنّه الجزء الذي يستشهد به في إثبات القاعدة لكون ذلك الجزئي من التّنزيل أو من كلام العرب الموثوق بعربيتهم. وهو أخصّ من المثال، والمثال يطلق على الجزئي الذي يذكر لإيضاح القاعدة وإيصالها إلى فهم المستفيد، ومرادنا هو ذلك الإجمال وإلاّ رحنا نتّبع تلك القواعد العامّة،وما ينتج عنها من فروع وحالات مستثناة، وهناك المطّرد والغالب والكثير والقليل، بله النادر والشاذ، وهناك أساليب جاءت على غير الصور المألوفة وخرّجها الأئمة تخريجات

تؤصّلها ثم هناك ما احتجّ به فريق من الأئمة دون آخر، ومن الشعراء من وثّقه واحد أو أكثر ولم يعرض له سائرهم بصورة خاصّة، وتفصيل ذلك في مواضعه من الدراسات والبحوث.

إنّ احتجاج فريق واحد من العلماء أو واحد من أئمة اللغة بشعر ما لشاعر مولّد، أو شهادة واحد منهم لشاعر مولّد أو أكثر هو مكسب لهذا الشاعر، ومن هنا فإنّ ما جيء به من شعر المولّدين في سياق الاحتجاج يعدّ صحيحا لأنه نابع من لغوي ثقة، وعلى هذا المعطى جمع لنا التراث اللغوي ما يربو على الأربعين شاعرا من الشعراء المولّدين: مطيع بن إياس(ت169هـ)، وبشار بن برد(ت176هـ)، وخلف الأحمر(ت180هـ)، وأشجع السلمي(ت195هـ)، وربيعة بن ثابت الرقي(ت198هـ)، وأبو نواس(ت199هـ)، وأبان اللاحقي(ت200هـ)، والإمام الشافعي(ت204هـ)، ومسلم بن الوليد(ت208هـ)، وبشر بن المعتمر(ت210هـ)، وأبو العتاهية(ت211هـ)، وأبو تمام(ت231هـ)، وعمارة بن عقيل(ت239هـ)، ودعبل الخزاعي(ت246هـ)، والبحتري(ت284هـ)، وابن المعتز(ت247هـ)، والمتنبي(ت354هـ)، وأبو فراس(ت357هـ)، وابن نباتة السعدي(ت405هـ)، والشريف الرضي(ت406هـ)، ومهيار الديلمي(ت428هـ)، والقاسم بن علي الحريري(ت446هـ)، والمعري(ت449هـ)، وغيرهم[13]. وهناك من شهادات العلماء بفصاحة هؤلاء الكثير، فقد شهدوا لبشار بالفصاحة ولأبي نواس والإمام الشافعي، ولا نظن أن أبا العلاء بحاجة إلى شهادة أو توثيق.

وممّا أوردوه من شعر المحدثين في الاحتجاج ما جاء في عود الضمير على غير مذكور في قول المتنبّي[14]:

خليليّ ما هذا مناخا لمثلنا فشدّا عليها وارحلا بنهار

والهاء في قوله[عليها] يعود على المطايا، وهي غير مذكورة في البيت، والشاهد أنّ عود الضمير على غير مذكور للعلم به.

ومنه ما اصطلح عليه البصريون التّبيين، في نحو قول عمارة بن عقيل:

وإنّي امرؤٌ من عصبةٍ خندفية أبتْ للأعادي أن تديخ رقابها

حيث قالوا: الجار والمجرور في قوله[للأعادي] في مثل هذا الأسلوب ليس متعلقا بالفعل [تديخ] الذي هو في صلة[أن]، لأنّ معمول الصلة لا يتقدّم على الموصول، وإنما هو تبيين[15]. وكلّ هذا جاء على لسان المولدين للتعبيرات الجارية على غير الأصل، وهو احتجاج حقيقي بكونه في مجال متن اللغة وما إليه أو مجال النحو وما إليه.

ومنه قول المتنبي[16]:

بمن نضرب الأمثال أم من نقيسُه إليكَ وأهل الدّهر دونك. والدّهر

فالفعل قاس هنا فيه معنى الجمع والضمّ، كأنه قال: من أضمّه إليك في الجمع بينكما والموازنة، أو بأنّ الفعل قاس ضمِن معنى الانتهاء، أيّ منتهيا إليك.

02) شعر المولّدين في التراث اللغوي:

وقعت احتجاجات بشعر المولدين في هذا المجال من كثيرين من أئمة اللغة:

جاء في مجاز القرآن لأبي عبيدة (ت210هـ) أنّ كلمة [الغوْل] في قوله تعالى:"لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ "[17]، بمعنى أنّ الخَمْر تغتال عقولهم، وحجّته قول مطيع بن إياس (ت170هـ) وهو شاعر مولّد[18]:

ومازالت الكأس تغتالنا وتذهب بالأوّل الأوّل.

واحتج الزمخشري(ت538هـ) في كتابه"الفائق في غريب الحديث" للكثير من المولدين منهم خلف الأحمر ودعبل الخزاعي وأبو العتاهية وربيعة الرّقي وكلّهم من المتأخرين، فقد احتج لكلمة (القرارة) بمعنى مستقر ماء المطر من بيت لعقيل بن بلال يقول فيه[19]:

وما النفس إلاّ نطفة بقرارة إذا لم تكدّر كان صفوا غديرُها

وفي لسان العرب من الاحتجاج بشعر المولّدين الكثير، منهم مطيع بن إياس والحسين بن مطير، وبشار بن برد ، وأبو تمام، والمتنبي، والشريف الرضي.

02-01. المولّد في التراث النحوي:

من أوائل الكتب النحوية احتجاجا بالمولّد من الشعراء الكتاب لسيبويه، فقد ورد بيت شعري من الرّجز لخلف الأحمر(ت180هـ)[20]، وآخر لمروان النحوي(ت180هـ)[21]، وبيت شعري لأبان اللاحقي(ت200هـ) وهو المشهور إذ يقول[22]:

حَذِرٌ أمورًا لا تُخافُ وآمنٌ ما ليس منجيَه من الأقدار

وقد عورض سيبويه (ت180هـ) في هذا البيت، لأنه يرى بإعمال فَعِلٌ وفعيل، لأنهما عنده محوّلان من فاعل المتعدّي لإرادة المبالغة، والبيت مذكور عند العيني وذكره ابن الشجري دون نسبته إلى اللاحقي، ومن عارض سيبويه رأى أنهما بناءان لما يتعدّى، ك: بَطِرٌ، وأَشِرٌ، وكريم ولئيم.

وفي كتاب المقتضب للمبرّد (ت286هـ) بيت خلف الأمر نفسه الذي أورده سيبويه، كما أنّ بيت أبان اللحقي المذكور عند سيبويه قد أورده أيضا ابن السراج في الأصول.

وأكثر ابن جني من الاحتجاج بهم، ففي الخصائص احتج بأبي نواس، وفي المنصف شرح التصريف للمازني (ت247هـ) بيت لعمارة، وفي اللمع بيت لمروان النحوي.

وفي الجمل للزجاجي بيت للاحقي، وفي الأمالي الكثير، منهم أبو نواس و ابن المعتز وابن نباتة السعدي، كما اعتمد الرضي الاستراباذي(ت684هـ) أشعار بشار بن برد وربيعة الرقي وأبي تمام، ولكن على الرغم من وجود هذه الأشعار في كتب الأوائل فإنّ هذا لا يعني تلك الوفرة التي تظهر للعيان، بل تضع شعر هؤلاء المولدين في ميزان جديد، يعرف تفاصيله وجزئياته أولئك الرعيل الأوّل من اللغويين والنحاة فقط.

02-02 شعر المولّدين في التّأليف اللغوي والأدبي:

يعنّ لنا عند الحديث عن المؤلفات اللغوية القديمة الإفصاح عن أنّها تكاد تخلو من ذكر لشعر المولّدين، إذ يتّضح لنا عند تتبّع بعض أمات الكتب في تاريخنا اللغوي الحافل بالتّأليف بعضا ممّا يلي:

ليس في كتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة من شعر المولّدين إلاّ بيبت شعري واحد هو لمطيع بن إياس، مع أنّ فيه نحو ألف ومئة وخمسين شاهدا.

ومن مصادر تراثنا اللغوي التي تخلو تماما من الاحتجاجات اللغوية بشعر المولّدين نذكر[23]:

- معاني القرآن للأخفش(ت215هـ) وفيه ثلاثمئة وسبعة عشر شاهدا لغويا.
- كتاب إصلاح المنطق لابن السكّيت(ت244هـ).
- كتاب الاختيارين للأخفش الأصغر (ت315هـ).
- شرح القصائد التسع المشهورات لأبي جعفر النحاس(ت338هـ).
- معجم مقاييس اللغة لابن فارس(ت395هـ).
- شرح المفضليات للخطيب التبريزي(ت502هـ).

ومن المصادر التي أوردت بيتا واحدا من شعر المولدين نذكر[24]:

- كتاب الأمثال لأبي القاسم بن سلام(ت224هـ)، والبيت الشعري لبشار بن برد، وفي هذا الكتاب مئتان وواحد وثلاثون بيتا شعريا.
- أدب الكاتب لابن قتيبة(ت276هـ).
- غريب الحديث لمسلم بن قتيبة.
- كتاب الأضداد للأنباري(ت328).
- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لابن الأنباري، والبيت لعمارة بن عقيل.

- المستقصى في أمثال العرب للزمخشري.

أما من الكتب التي أوردت البيت والبيتين إلى الثلاثة فنذكر منها:

- جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي وفيها شطران لشاعر، وشطر لشاعر آخر.
- مجالس ثعلب(ت291هـ) وفيها ثلاثة أبيات.
- مجمل اللغة لابن فارس وفيها ثلاثة أبيات.

02-03. الشعر المولّد في التّأليف النحوي:

ما يلاحظ في خلو المؤلفات اللغوية من الاحتجاج بشعر المولدين هو نفسه ما أثبتته المؤلفات النحوية إلى نهاية القرن الرابع الهجري، ففي الكتاب الذي بلغت شواهده الشعرية ألفا وخمسين بيتا لا يتعدى شعر المولدين عنده ثلاثة شواهد فقط، أما عن استشهاده بشعر بشار بن برد أو أبي نواس فليس في الكتاب منه شيء، وقد قيل إنّ بيت بشار الذي احتج به سيبويه هو[25]:

وما كلّ ذي لبّ بمؤتيك نصحَه وما كلّ مؤتٍ نصحَه بلبيب

إلاّ أنّ جملة من المحقّقين ذكروا نسبة هذا البيت للدّؤلي(ت69هـ)[26]، ومن هؤلاء المحقّقين المحقق الثبت عبد السلام هارون، إذ ذكر أن البيت لأبي الأسود الدؤلي، فلم يبق هناك لبس في المسألة.

وفي أصول النحو لابن السراج(ت316هـ) بيت شعري واحد احتج به سيبويه من قبل، وليس في الجمل وشرحه الكبير لابن عصفور الأندلسي إلاّ بيت للاحقي وبيت لمروان النحوي وقد وردا كلاهما عند سيبويه، وهو ما ورد عند ابن جني في اللمع في النحو، وما يلاحظ هو أنّ جملة من كتب النحو تخلو خلوا كاملا أو شبه كامل من أشعار المولّدين، فالتزم أصحابها بمعايير الاحتجاج ووقفوا عند حدودها، وواضح أنّ كلّ ما يمكن أن يكون مولّدو تلك القرون قد ابتكروه من المفردات والصيغ والاستعمالات قد أُغفل تماما، وأنه يتحتّم بذل الجهود لاستدراكه إن كان هناك من قناعةٍ أنّ من حقّ اللغة وحقّ أبنائها أن يُدوّن ما أبدعه منها صفوة أهلها، وأبلغهم إحساسا وأقدرهم بيانا.

ولا ندري كيف يستشهد بشاعر في المعنى دون اللفظ، وليس اللّفظ من اصطلاحه هو، وإنّما شركة بين الناس، وقد رأينا الجاحظ في نظرية المعاني لا يقيم وزنا لها، ثمّ إننا إن أقصينا كلّ هؤلاء الشعراء ماذا سنبقي في موروثنا الشعري، وكلّ المذكورين من جملة الفحول القدامى الذين تفتخر بهم عصورهم الزاهية، لاسيما إذا عرفنا أن شرط التقدم عند بعض النقاد مقصور على حلاوة الكلام وطلاوته، فلم يبق على المولّدين إلاّ الالتزام به، وبالتالي إذا صحّ المولّد المحدث حصل لصاحبه الفضلُ البيّن بحسن الاتّباع ومعرفة الصواب، مع أنّه أرقّ حوكا وأحسن ديباجة[27].

لا تثريب علينا إذا أقررنا أن التشريع اللغوي حقّ للقدماء لا ينبغي أن ينافسهم فيه المحدثون، تسليما لأهل الفطرة السليمة آنذاك، والمقصود بهذا التشريع اللغوي الأصول والضوابط في مجالات الأصوات والمفردات والصياغة والتركيب والدلالة، بيد أنّ لمن بعدهم الحق أيضا في ابتكار ما تتطلّبه الحياة والفكر من صيغ وعبارات ودلالات مادام كلّ ذلك لا ينافي الأصول، والأفضل حينئذ أن تؤخذ هذه المبتكرات من كلام أقرب الناس شَبَهَا بأهل الفطرة في الحسّ اللغوي وهم الأدباء شعراؤهم وناثروهم، والعلماء والمؤلّفون.

إن كان هناك من معايير مقترحة تفضّل بها سدنة العلماء في موروثنا العربي فإنّ لابن جني كلمةً باقية في الأعقاب، يقول:"ينبغي أن يستوحش من الأخذ عن كلّ أحد، إلاّ أن تقوى لغته وتشيع فصاحته"[28]، كما يقول في موضع الحديث عن القياس بين القبول والرفض:"فأقوى القياسين أن يقبل ممّن اشتهرت فصاحته ما يورده، ويحمل آمره على ما عرف من حاله، لا على ما عسى أن يكون من غيره"[29]، وممّا نتج عن ذلك المعيار الزمني الذي خضع له موضوع الاحتجاج إغفال ما استجدّ في نتاج أدباء العربية من ألفاظ وصيغ وتعابير ودلالات، ولنا أن تصوّر ذلك الموروث اللغوي لهائل الذي لم يحكّمه العلماء شعرا ونثرا على الرغم من موافقته لأصول الكلام العربي.

لقد دعا بعض الباحثين إلى استدراك المولّدات التي أغفلتها معاجمنا مادامت هذه المولّدات ليس فيها خروج على أصول اللغة ولم يدخلها في مجال المولّدات إلاّ جدّتها فقط.

رأينا أن بعض العلماء وقع منهم الاحتجاج بشعر المولّدين، قال البغدادي(ت1093هـ):"وقيل يستشهد بكلام من يوثق به منهم- يعني من شعراء الطبقة الرابعة- واختاره الزمخشري (ت538هـ)، وتبعه الشارح المحقّق - يعني الرضي الاستراباذي (ت686هـ) في شرحه للكافية- فإنّه استشهد بشعر أبي تمّام في عدّة مواضع من هذا الشرح [30]"، ثمّ توالت بعض الاستشهادات عند جملة من العلماء، فقبلوه -شعر المولّدين- نظريا واحتجوا به عمليا، والمتتبّع لمعجم الوسيط يرى أن مجمع اللغة بالقاهرة أخذ بهذا الاتجاه جزئيا، إذ ضمن معجماه الوسيط والكبير كثيرا من المولّدات[31]. ومن هنا فإنّ دعوة بعض العلماء إلى الاحتجاج والاستشهاد بالمولّد تبقى ليست غريبة —إلى حد ما- على المجال اللغوي لا نظريا ولا تطبيقيا، وأنّ النظرة العلمية لا تأباها.

إحالات البحث:

1 - ابن منظور: لسان العرب [مادّة ولد]، دار صادر، بيروت ، دط، دت، ج04، ص 484.

2 - مجد الدين الفيروز آبادي: – مادّة [ولد]، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، ط08، 2005م، ص 327.

3 - ينظر: طبقات فحول الشعراء: ابن سلام الجمحي، تحقيق: محمود محمد شاكر، القاهرة، ط02، 1974م، ج01، ص 352. وينظر: خزانة الأدب وغاية الأرب: ابن حجّة الحموي، القاهرة، دط، 1304هـ، ج01، ص 54.

4 - ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة، ط01، 2006م، ص78.

5 - ينظر: معجم مصطلحات النّقد العربي القديم: أحمد مطلوب ، مكتبة لبنان ناشرون،، بيروت، ط 01، 2001م، ص 417.

6 - عبد الملك بن قريب الأصمعي: فحولة الشعراء، تحقيق: عبد المنعم خفاجي وطه محمد الزيني، القاهرة، ط01، 1953م، ص 32. وينظر: صبح الأعشى في صناعة الإنشا: أبو العباس القلقشندي، دار الكتب المصرية، القاهرة، دط، دت، ج01، ص 292.

7 – جوهر الكنز: ابن الأثير الحلبي، تحقيق: محمد زغلول سلام، الإسكندرية، دط، دت، ص 445. وينظر: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر: أبو منصور الثعالبي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، ط02، 1956م، ج01، ص 16. وينظر: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: أبو منصور الثعالبي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف، دط، 1958م، ص 224.

8 – جوهر الكنز، ص 446.

9 – العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ج 02، ص 236.

10 – عيار الشعر: ابن طباطبا العلوي، تحقيق: محمد زغلول سلام، منشأة المعارف بالإسكندرية، دط، دت، ص 46..

11 – ينظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج 01، ص 80.

12 – المصدر نفسه، ج01، ص 81.

13 – محمد حسن حسن حبل: الاستدراك على المعاجم العربية، ص 57.

14 – ابن الشجري: الأمالي الشجرية، دار المعرفة، بيروت، دط، دت ج01، ص 60.

15 – أبو العباس المبرّد: المقتضب في النحو، تحقيق: عبد الخالق عضيمة، لجنة إحياء التراث، القاهرة، دط ،1399هـ، ج04، ص 199. وينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف: أبو البركات بن الأنباري، تحقيق: محمد عبد الحميد محيي الدين، دار الجيل ، القاهرة ، ط05، 1979م، ص 595.

16 – محمد حسن حسن حبل: الاستدراك على المعاجم العربية، ص 59.

17 – سورة الصافات، الآية 47.

18 – أبو عبيدة معمر بن المثنّى: مجاز القرآن، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1970م، ج02، ص 169.

19 – جار الله الزمخشري: الفائق في غريب الحديث، تحقيق: علي بجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، عيسى البابي الحلبي، ط02، دت، ج 03، ص 180.

20 – أبو بشر عمرو بن عثمان سيبويه: الكتاب، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط03، 1416هـ، 1996م، ج02، ص 272، 273.

21 – المصدر نفسه، ج01، ص 97، وعبد القادر البغدادي: خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط04، 1997م.

22 – سيبويه: الكتاب، ج01، ص 113.

23 – محمد حسن حسن حبل: الاستدراك على المعاجم العربية، ص 59.

24 – المرجع نفسه، ص 60.

25 – الكتاب تحقيق: عبد السلام هارون، دار القلم، القاهرة، ط01، 1966.، ج04، ص 441.

26 – ينظر تفصيل المسألة في كتاب: سيبويه إمام النحاة، علي النجدي ناصف، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، دط، دت. وينظر: شواهد الشعر في كتاب سيبويه: خالد عبد الكريم، جمعة الدار الشرقية، مصر، ط02، 1409هـ، 1989م، ص 272. وينظر: الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه: خديجة الحديثي، مطبوعات جامعة الكويت، دط، 1394هـ، 1974م.

27 – الكتاب ، ج 01، ص 81.

28 – الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، دط، دت، ج02، ص 10.

29 – المصدر نفسه، ج02، ص 27..

30 – عبد القادر البغدادي: خزانة الأدب، ج01، ص 06.

31 – محمد حسن حسن حبل: الاستدراك على المعاجم العربية، ص 52.

قائمة المراجع المعتمدة:

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

1. الاستدراك على المعاجم العربية في ضوء مئتين من المستدركات الجديدة على لسان العرب وتاج العروس: محمد حسن حسن حبل، دار الفكر العربي، القاهرة، دط، دت.
2. الأمالي الشجرية: أبو السعادات بن الشجري(ت542هـ)، بيروت، دار المعرفة، دط، دت.
3. الإنصاف في مسائل الخلاف: أبو البركات بن الأنباري(ت577هـ)، تحقيق: محمد عبد الحميد محيي الدين، القاهرة، دار الجيل، ط05، 1979م.
4. ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: أبو منصور الثعالبي(ت429هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة ، دط، 1958م.
5. جوهر الكنز: ابن الأثير الحلبي(ت558هـ)، تحقيق: محمد زغلول سلام، الإسكندرية، دط، دت.
6. خزانة الأدب وغاية الأرب: ابن حجّة الحموي(ت837هـ)، القاهرة، دط، 1304هـ.
7. خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب: عبد القادر البغدادي(ت1093هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ط04، 1997م.

8. الخصائص: أبو الفتح بن جني(ت392هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، القاهرة، دار الكتب المصرية، دط، دت.
9. سيبويه إمام النحاة: ناصف علي النجدي، القاهرة، مكتبة نهضة مصر، دط، دت.
10. الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبوبه الحديثي، خديجة الحديثي، مطبوعات جامعة الكويت، دط، 1394هـ، 1974م.
11. شواهد الشعر في كتاب سيبويه: خالد عبد الكريم جمعة، الدار الشرقية، مصر، ط02، 1409هـ، 1989م .
12. صبح الأعشى في صناعة الإنشا: أبو العباس القلقشندي(ت821هـ)، دار الكتب المصرية، القاهرة، دط، دت، ج01.
13. طبقات فحول الشعراء: ابن سلام الجمحي(ت232هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر، القاهرة، ط02، 1974م.
14. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ابن رشيق القيرواني(ت546هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة، ط01، 2006م.
15. عيار الشعر: ابن طباطبا العلوي(ت422هـ)، تحقيق: محمد زغلول سلام، منشأة المعارف بالإسكندرية، دط، دت.
16. الفائق في غريب الحديث: أبو القاسم جار الله الزمخشري(538هـ)، تحقيق: علي بجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، عيسى البابي الحلبي، ط02، دت.
17. فحولة الشعراء: عبد الملك بن قريب الأصمعي(ت216هـ): تحقيق: عبد المنعم خفاجي وطه محمد الزيني، القاهرة، ط01، 1953م.

18. القاموس المحيط: مجد الدين الفيروز آبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، ط08، 2005م.

19. الكتاب: أبو بشر عمرو بن عثمان سيبويه(ت180هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط03، 1416هـ، 1996م.

20. لسان العرب: جمال الدين بن منظور(ت711هـ)، دار صادر، بيروت، ، دط، دت.

21. مجاز القرآن: أبو عبيدة معمر ابن المثنّى(ت211هـ)، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1970م.

22. معجم مصطلحات النّقد العربي القديم: أحمد مطلوب، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، ط 01، 2001م.

23. المقتضب في النحو: أبو العباس المبرّد(ت285هـ)، تحقيق: عبد الخالق عضيمة، القاهرة، لجنة إحياء التراث ،دط ،1399هـ.

24. يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر: أبو منصور الثعالبي(ت429هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، ط02، 1956م.